الرحلة الاخيرة

معرض استراليا

الكلام على استراليا ماضيها وحاضرها ومستقبلها وما بلغتهُ منذ شرع الاوربيون في تعميرها كالكلام في الف ليلة وليلة لا يكاد العقل يصدقهُ لغرابته . جزيرة كبيرة في اقصى المشرق تبعد عن افريقية ٤٥٠٠ ميل وعن اميركا ٨٥٠٠ ميل لم تطأها قدم اوربي للسكن فيها الا منذ نحو ١٤٠ سنة سكانها الاصليون اقوام غريبو الاطوار لم يجمع الباحثون على نسبتهم الى جنس من اجناس البشر المعروفة ولكن هيآتهم لا تدل على انهم احط طوائف الناس حتى لقد ظن البعض انهم من الجنس القوقاسي واذا كانت دلالة الشعر الجعد الذي بين البسيط والمفلفل صحيحة فهم من ذلك الجنس إما من اصوله او من فرع انحط منهُ كما سنبينهُ في آخر هذا الوصف . والظاهر انهم اقاموا في استراليا الوفا من السنين قبل ما دخلها الاوربيون وهي كافية لتقوم بعيشة خسيسة ثلثمائة مليون من النفوس ومع ذلك لم يجد الاوربيون فيها حين دخلوها الا نحو مائة وخمسين الفا من هؤلاء السكان وهم في حالة يرثى لها حتى ان ابسط مبادىء الزراعة لم تكن معروفة عندهم. اما الاوربيون فزاد عددهم فيها زيادة مدهشة بالولادة والمهاجرة ابتدأوا بنفر قليل نحو سنة ١٧٨٨ ولم تمض مائة سنة حتى بلغوا اكثر من مليونين ونصف . وهم الآن ستة ملايين ونحو ٩٧ في المائة منهم من الشعب الانكليزي . وكما زاد عددهم زادت ثروتهم ومتاجرهم واموالهم فتبلغ نفقات حكومتهم السنوية الآن نحو ٦٥ مليوناً من الجنيهات وقيمة صادراتهم نحو ١٥٠ مليوناً وقيمة وارداتهم نحو ١٠٠ مليون . اي وهم اقل من نصف سكان القطر المصري تبلغ قيمة ما يصدرونهُ اكثر من مضاعف ما يصدرهُ القطر المصري. واكثر صادراتهم من منتجات الزراعة كالصوف والقمح والدقيق واللحم والزبدة والاثمار. ونحن في قطرنا الزراعي نستورد هذه المنتجات من استراليا. بلاد فيها هذا الغنى الطبيعي والصناعي وهذا الشعب النشيط لا عجب اذا اقامت معرضاً من اوسع المعارض واشملها ولا سيما لانها تهتم بترغيب العاطلين من عمال البلاد الانكليزية في المهاجرة اليها كما تهتم كندا وزيلندا الجديدة وسائر الولايات والمستعمرات البريطانية

يشغل هذا المعرض خمسة افدنة ونصف فدان اي اكثر من ٢٣ الف متر مربع

وحولهُ ارض مساحتها نحو فدانين زُرع فيها ما ينبت في استراليا من الاشجار والانجم والسراخس . وعُرض فيهِ كل ما يمثل غناها معادنها وحقولها وبساتينها وحراجها ومبانيها ومعاملها ومدارسها وسفنها وسككها . فان فيها من المعادن الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص والفحم الحجري . وقد استخرج من هذه المعادن حتى سنة ١٩٢٢ ما يساوي ١٠٢٢ مليون جنيه. اكثر من نصفها من الذهب. وبلغ عدد معاملها ١٨٠٢٣ معملاً سنة ١٩٢٢ رأس مالها ١٤٥ مليون جنيه يعمل

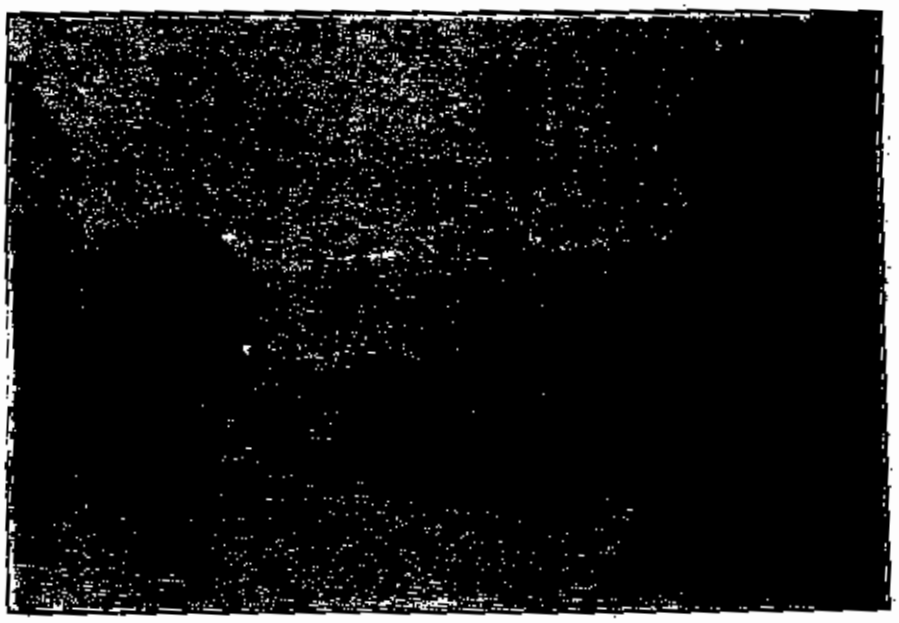

صورة معرض استراليا

فيها نحو ٤٠٠ الف عامل اجورهم السنوية نحو ٦٨ مليون جنيه وقيمة ما يصنعونهُ في السنة ٣٢٠مليون جنيه.ويبلغ ثمن الحاصلات الزراعية في السنة نحو ٢٥٠ مليون جنيه .والغرض من ذكر هذه الملايين الكثيرة الاشادة بالغنى الوافر الذي ينالهُ المجتهدون اذا بذوا العمل على العلم وعرفوا كيف يستخرجون خيرات الارض . ستة ملايين من النفوس تبلغ قيمة مصنوعاتهم ومزروعاتهم في السنة ٥٧٠ مليوناً من الجنيهات فيصيب النفس منهم ٩٥ جنيهاً في السنة ونحن في هذا القطر لا يصيب النفس منا مما نزرعهُ ونصنعهُ سبعة جنيهات فما اعظم الفرق بيننا وبينهم

وترى في هذا المعرض امثلة كثيرة لكل ما في استراليا من المزروعات والمصنوعات. والظاهر انها لم تكتفِ بما فاقت به غيرها كالقمح والصوف واللحم بل اخذت تناظر مصر وتركيا بما اختصتا به اي القطن المصري والتبغ التركي. وما لا يمكن عرضهُ فعلاً ولا عرض امثلة منهُ عرضت صورهُ بالسنما او بالبانوراما فترى امامك حقلاً واسعاً من القمح ثم ترى قحةً يحصد ويدرس ويطحن ويعجن ويخبز خبزاً او كعكاً. وترى المراعي من سهول وآكام والمواشي سائمة فيها والنعم يجزُّ صوفهُ والبقر يحلب لبنها. وهناك قالب من الجبن يزن ٣٣ قنطاراً مصريًّا صنع من ٢٤٠ قنطاراً من اللبن.

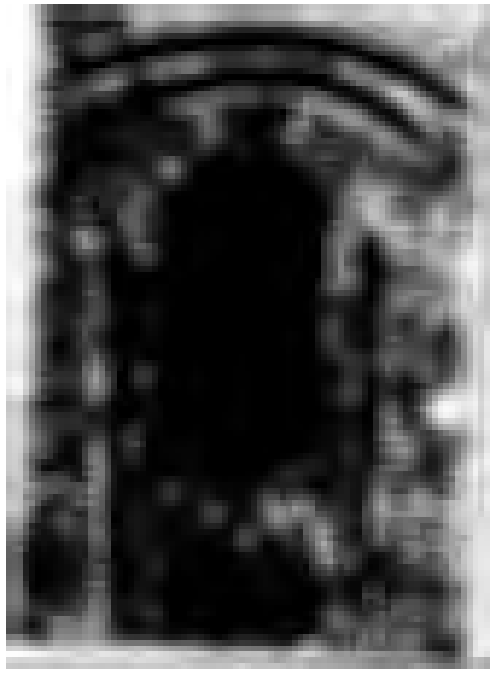

الشكل الاول

ومعروضات الاسماك في هذا المعرض وفي غيره من معارض الامبراطورية استعانت بعلم التبريد فترى فيها قطعاً كبيرة من الماء الذي جمد فصار كالبلور. والسمك في قلبهِ بحالتهِ الطبيعية واشكالهِ المختلفة واكثرهُ كبير جدًّا. اما الاثمار وكثرة انواعها فحدث عنها ولا حرج وكذا في كل المعارض. وحسبنا دليلاً على كثرتها اننا نحن في القطر المصري نجلب التفاح من استراليا ونجلب العنب ايضاً في غير اباننا. وكما عُرض قالب من الجبن وزنهُ ٣٣ قنطاراً عرضت كرة من الصوف قطرها ١٦ قدماً. وفي القسم الصناعي كل انواع الآلات ومصنوعاتها كالانسجة والثياب والكتب والطبوب والآلات الجراحية وكل ما يصنع من المعدن والزجاج والجلد والخشب والحجر. وما يصنع من المعادن يتناول كل آلة من ابسطها كالمعاول والفؤوس الى ادقها كالحلي والآلات الكهربائية

اما سكان استراليا الاصليون فقد نشرنا مقالة مسهبة في وصفهم ووصف اعمالهم في مقتطف اذار سنة ١٨٩٨ قلنا فيها ما يأتي

بعثت مدرسة بنا الجامعة بالدكتور رتشرد سيمون الى استراليا سنة ١٨٩١ فبحث عن احوال سكانها الاصليين وما فيها من النبات والحيوان بحثاً علمياً ونشر خلاصة بحثه فلخصنا منها ما يلي

قال ان حالة هؤلاء الاقوام الآن مثل حالة سكان اوربا في العصر الحجري الاول اي حينما كانوا يستعملون حجارة الصوان من غير صقل ولا اتقان . والبلاد غنية بالمعادن من الذهب والنحاس والرصاص ولكنهم لم يستخرجوا شيئاً منها لا في هذا العصر ولا في العصور الغابرة . ولم يعرفوا الادوات المعدنية الا من الاوربيين الذين احتلوا بلادهم . وكل اسلحتهم وادواتهم مصنوعة من الحجارة والعظام والاصداف والاخشاب والالياف والاوتار وليس فيها

الشكل الثاني

اقل دليل على اتقان الصناعة فيتخذون المطارق من الحجارة ولكنهم لا يهذبونها ولا يثقبون فيها ثقباً تدخل اليد فيه كما ترى في الشكل الاول عند الرقم ٣ . ونبابيتهم ضخمة خالية من كل زخرفة كما ترى عند الرقمين ٤ و٥ وكذلك رؤوسهم كما ترى عند الرقم ٦ . واذا ارادوا تزيين ابدانهم بالوشم جرحوا صدورهم وظهورهم جروحاً غائرة تزيد منظرهم قبحاً وشناعة . واذا حاولوا رسم انسان او حيوان رسموا خطوطاً مستقيمة تدل على الايدي والارجل كما يفعل الاطفال في السنة الرابعة والخامسة من عمرهم . ولم يصنعوا الخزف مطلقاً ولا آنية لطبخ الطعام فيكتفون بشيّ اللحم على الرصف اي الحجارة المحماة وهو غاية ما وصلوا اليه من صناعة الطبخ ويصنعون سلالاً بسيطة كما ترى عند الرقم ٧ وهي غاية ما وصلوا اليه في صناعة النسج والحبك . وعندهم نوع من الكلب وهو الحيوان الاهلي الوحيد

وهم قبائل رُحَّل يضربون في البلاد طلباً للصيد لا لانتجاع المراعي لانهُ ليس عندهم بقر ولا غنم ولا خيل ولا جمال . ولو كانوا اهل نَعَم وزراعة لارتقوا في مدارج العمران من تلقاء انفسهم لان تربية الماشية وزراعة الارض تدعوان الى مراقبة احوال الجو وتقدير نتائج الاعمال اما هم فليس عندهم شيء من ذلك ولكن

اقتصارهم على الصيد من المعايش كلها قوّى فيهم كل القوى اللازمة لهُ فهم اقدر الناس على معرفة اماكن الصيد وعلى رميهِ واصابتهِ بالزّع او النيوت او بالبومران سلاحهم الذي امتازوا بهِ وهو عود اعقف كالهلال محدّد الراسين كما ترى عند الرقمين ١ و٢ في الشكل الاول يرمونهُ بمهارة تفوق وصف الواصفين ناظرين فيهِ الى بعد المرمى وجهة عصف الرياح فيذهب في الجو صعداً وهو يتمعج في سيرهِ ثم ينحدر الى ان يصيب الغرض . وقد وصفناهُ في المجلد الرابع متن المقتطف حيث قلنا « البومران عرجون من خشب محدّد الرأسين طولهُ ذراع ونصف (نحو متر) يستعملهُ اهل استراليا للحرب والصيد ولهم في رميهِ حذاقة مدهشة لانهم يرمونهُ الى الشرق قاصدين ان يرتدّ الى الغرب فيذهب شرقاً ثم يرتدّ غرباً من نفسهِ ويقع حيثما يشاؤون. فان قيل لاحدهم ارمهِ حتى يعود اليك رماهُ بعنفٍ حتى اذا ابعد عنهُ نحو خمسين ذراعاً صدم الارض وارتفع في الهواء عشرين او ثلاثين ذراعاً وعاد اليهِ ووقع عند قدميهِ ويدور على نفسهِ في سيرهِ بسرعة تذهب بالبصر ويدوي دويّاً يذهب بالسمع.

الشكل الثالث

والعجب كيف ان قوماً برابرة كاهل استراليا اخترعوا هذه "الآلة الجامعة لاغرب نواميس الحركة . فالاوربي لا يستطيع الرمي بها خوفاً من ان تعود اليهِ فتقتلهُ واما الاسترالي فيرمي بها كيف شاء ويقتل بها منظوراً وغير منظور »

وغنيٌّ عن البيان انهم صنعوا البومران واكتشفوا خواصهُ اتفاقاً لا جرياً على ناموس علمي ولا تبعاً لمبدإٍ صناعي ثم مهروا في استعمالهِ على توالي الازمان

ومما يدل على انحطاطهم انهم لا يستطيعون ان يعدّوا اكثر من خمسة وبعض هذه الاعداد مركّب ايضاً فالواحد « غارو » والاثنان « بو » والثلاثة « كُرمدي » والاربعة « وغارو » والخمسة « بوكرمدي » مركبة من اثنين وثلاثة . واذا زاد المعدود على الخمسة عبروا عنهُ بكلمة « ميان » اي كثير . وبعد عن الظن ان اقواماً عاشوا وتوالدوا الوفاً من السنين واصابع ايديهم عشر وهم لم ينتبهوا للعد بها ولكن هذه حال الاستراليين حتى الآن . ويفرضون فروضاً على العصي تدل على عدد الاشياء فرضاً لكل شيء فيفرضون عشرة فروض للعشرة الاشياء وعشرين فرضاً للعشرين ولكن ليس في لغتهم كلمة للعشرة ولا لغيرها من الاعداد فوق الخمسة . والذين تعلموا منهم قليلاً من اللغة الانكليزية يسر عليهم استعمال اعدادها التي فوق الخمسة . ومنهم رجل اسمهُ مكنزي وهو المرسوم في الشكل الثاني عاشر البيض زماناً طويلاً فتعلم العد الى حد العشرة وقليلاً من الجمع فاذا اصطاد امس اربعة حيوانات واصطاد اليوم ثلاثة علم ان ما اصطادهُ في اليومين سبعة ولكن هذا جهد ما بلغهُ من علم الحساب اي انهُ مثل اولادنا في الخامسة او السادسة من عمرهم واما اذا اصطاد ثلاثة حيوانات كل يوم على ثلاثة ايام لم يعلم انّ كل ما اصطادهُ تسعة كأن ضرب ثلاثة في ثلاثة فوق طور عقله وهو احذق رجل بين الاستراليين. وهذا شأنهم في كل المعاني المجرّدة فانهُ يتعذر عليهم ادراكها ولا كلمات لها في لغتهم وليس فيها اسماء للانواع مع انهم يميزون بين نوع من الحيوان ونوع آخر . مثلاً عندهم انواع من الافاعي السامة وانواع من الافاعي غير السامة فيميزون بينها ويسمون الاولى « ونجي » والثانية « بودي » ولكنهم لا يفرقون بين انواع هذه وانواع تلك باسماء خاصة بها

واغرب من ذلك عدم تمييزهم للالوان المختلفة فليس عندهم الاّ الابيض والاسود. واما الاحمر والبرتقالي والاصفر والازرق والنيلي والبنفسجي فلها كلها اسم واحد مع كثرة هذه الالوان في بلادهم

ومعلوم ان الشعب الذي لا يجرّد المعاني الكلية ولا يلتفت الى ما حولهُ بعين البصيرة لا يُنتظر ان تكون مداركهُ الدينية عالية . وهذا شأن الاستراليين فانهم خالون من كل اعتقاد بوجود الله او بوجود كائنات غير طبيعية ولذلك لا يعبدون شيئاً ولا يقدمون ذبيحة ولا يصلون لاحد . ويعتقدون ان ارواح موتاهم الذين لا يعتنى بدفنهم تجول في الارض ليلاً فيخافونها خوفاً شديداً ولكنهم لا يتوقونها

بوجه من الوجوه بل يتّقون شرّها بتجمعهم بعضهم مع بعض حول نار يضرمونها ليلاً . ولا يحسبون المرض والموت من الحوادث الطبيعية بل من نتائج سحر القبائل المعادية لهم ولا ينجو الانسان منها الاّ بمقاومتها بسحر ساحر من قبيلته . غير ان القبائل التي في بعض الجهات من جنوبي استراليا وغربيها وصلت الى شيء من العبادة الدينية فانك ترى رجال القبيلة يحسبون جدهم الاعلى الذي نشأت منهُ قبيلتهم خالقاً للعالم وهذا من نوع عبادة الاسلاف

ولا يروي الاستراليون اخباراً عن ابطالهم السابقين كاليونان والعرب وانما مدار اقاصيصهم على السحر واعمال السحرة وتقمُّص الناس في اجسام الحيوانات

وقنية الرجل آلاتهُ وادواتهُ التي يستطيع حملها في ارتحاله . ولكل قبيلة حمى او ارض واسعة تصيد فيها فلا يصيد فيها احد من القبائل المجاورة . والحروب قليلة بينهم والسلم غالب عليهم اذ لا مطمع لهم بغنيمة ولا بشيء من السلب . ولكل قبيلة رئيس تختارهُ من امهر رجالها في الصيد او في السحر ولهُ الشور والرأي ولكن ليس لهُ شيء من السلطة على رجال قبيلته . والحرية الشخصية مطلقة تمام الاطلاق كل امرء يفعل ما يشاء ولا يتقيَّد الاّ بمراعاة بعض العادات القديمة حتى الاولاد لا يقيدون بطاعة والديهم الا نادراً وليس كذلك النساء فان لرجالهنَّ السلطة المطلقة عليهنَّ . وللشيوخ شيء من السلطة لسعة اختبارهم ولاسيما في تربية الاحداث وتزويجهم . واذا امتاز رجل بالعقل والحزم تسلط على قومهِ ولكن سلطتهُ قائمة بنفسهِ لا تنتقل الى اولادهِ ولا الى احد من عائلتهِ اي ان سلطة الرئيس ليست وراثية بل شخصية فاولاد الرجل المتسلط يكونون مثل سائر اولاد القبيلة

واذا بلغ الشاب سن الحلم احتفلوا بذلك احتفالاً عظيماً واجروا لهُ بعض الرسوم الاليمة فيختنونهُ حينئذٍ ويشمون بدنهُ ويقتلعون سنين من ثناياهُ

وهم عراة في الغالب لا يسترون عريهم بشيء ولكن رؤساءهم وسحرتهم يضعون على رؤسهم قلانس وطراطير في حد الغرابة كما ترى في الشكل الثالث فعند الرقم ١ رأس رجل يرقص للاستمطار وقد لبس طرطوراً طويلاً جدّاً من الخشب ألصق بهِ الريش بالدم وادخل عوداً طويلاً في ارنبة انفهِ وربط لحيتهُ من اسفلها والقلانس الاربع الباقية تلبس في الحفلات والولائم والهلال المتصل بقلنسوة الرابع حزمة من الحشيش لفَّ عليها خيطاً ابيض . ويكثرون الرقص لابسين مثل هذه القلانس اما

دفعاً لارواح الموتى وسحر السحرة او استجلاباً للخيرات آه

معرض زيلندا الجديدة

زيلندا الجديدة جزيرتان كبيرتان موقعهما في القسم الجنوبي من الكرة الارضية مثل موقع ايطاليا في القسم الشمالي ومساحتهما مثل مساحة ايطاليا وتتصل بهما جزائر اخرى صغيرة تابعة لها . وهما كثيرتا الجبال والانهار والبحيرات والسهول والحراج وقد كانت ارضهما مغطاة بالحراج قبلما دخلها الاوربيون . والجبال في الجزيرة الجنوبية منها وتسمى جبال الالب الجنوبية يبلغ ارتفاع اعلاها ١٢٣٤٩ قدماً

كما تنحدر من جبال الالب الاوربية . وهناك اودية عميقة وشلالات يندر وجود مثلها في المكونة . والذين لقيناهم من سكان زيلندا الجديدة يثنون بمدحها ويقولون انهُ لا اجمل منها بقعةً ولا اطيب هواءً وحسبها انها خالية من الامراض الوبائية وان الوفيات فيها بين الاوربيين لا تزيد على ٩ في الالف سنوياً وهي في فرنسا نحو ١٨ في الالف وفي انكلترا نحو ١٥ في الالف وفي القطر المصري نحو ٢٨ في الالف

اول من اكتشف هذه الجزائر من الاوربيين ابل تسمان الرحالة الهولندي

سنة ١٦٤٢ وسماها زيلندا الجديدة مقابلة لزيلندا الجزيرة المشهورة في شمال اوربا . ولكن لم يعرف شيء عن سكانها الاّ حينما زارها القبطان كوك الرحالة الانكليزي سنة ١٧٦٩ فوجد سكانها اصحاء الابدان يأبون الضيم ويحمون الذمار ويحاربون من يعتدي عليهم . ثم قصدها القس صموئيل مادسون سنة ١٨١٤ ليدعو اهلها الى النصرانية وتبعهُ كثيرون من المبشرين فلم تمضِ ثلاثون سنة حتى تنصر سكانها كلهم . وسنة ١٨٤٠ اجتمع بعض شيوخهم واعلنوا خضوعهم لملكة الانكليز ومن ثم صارت البلاد مستعمرة انكليزية الا ان اتصالها بالاوربيين كاد يقرض سكانها الاصليين فقد كان عددهم نحو ١٢٠٠٠٠ سنة ١٨٤٠ فقل رويداً رويداً حتى صار الآن نحو ٥٣٠٠٠٠ نفساً وكان عدد الاوربيين نحو الفين سنة ١٨٤٠ فزاد رويداً رويداً وهم الآن نحو ١٣٠٠٠٠٠ والسبب الاكبر لما اصاب السكان الاصليين من الانقراض فتك الامراض بهم ولاسيما السل المستعجل لكنهم اخذوا الآن يستردون شيئاً من عددهم ومن شاء زيادة التفصيل في وصف زيلندا الجديدة فعليه بمراجعة ما كتبناهُ عنها في مقتطف مايو سنة ١٩١٥

فتاة من الموري

تنصر وبقيت زيلندا الجديدة مستعمرة بريطانية الى سنة ١٩٠٧ وحينئذٍ اعطيت

الاستقلال الداخلي وصارت ولاية مستقلة من الدومنيون وصار لها مجلس نواب ينتخب بالاقتراع العام وللنساء حق الاقتراع كالرجال وفيه نواب من الموري (السكان الاصليين) بالنسبة الى عددهم كما فيه من الاوربيين بالنسبة الى عددهم بل للموري شيء من الامتياز من هذا القبيل فلكل ١٣٣٥٤ من الاوربيين عضو ولكل ١٢٤٦١ من الموري عضو

امرأة من الموري حاملة طفلها

والتعليم اجباري بين سن ٧ و١٤ من العمر وتبلغ نفقات التعليم ٢٥٨٠٠٠٠ جنيه في السنة ويبلغ دخل السكان من الصناعة ٦٧ مليون جنيه وعدد المعامل ٤١٨٠ وعدد العمال ٦١٥٤٢ وقد بلغت قيمة صادرات البلاد ٤٣ مليون جنيه سنة ١٩٢١ وقيمة وارداتها ٣٥ مليون جنيه ومن الصادرات حينئذ كما يأتي

صوف	١١٨٨٣٤٦٣	جنيهاً
زبدة	٩٠٤١٥٥٤	»
لحم مبرد	٨٣٨٧٤٦١	»
جبن	٤٦٨٦٨٥٠	»

هذا عدا صادرات اخرى كثيرة زراعية وصناعية والسكان كلهم من اصليين واوربيين لا يبلغ عددهم عشر سكان القطر المصري

ويظهر لنا مما شاهدناهُ في معرضها ان الشأن فيها لسكانها الذين اصلهم اوربي اما سكانها الاصليون فليس لهم شأن يذكر في هذا المعرض الا من حيث ما عُرض

من آثارهم ومصنوعاتهم وهي ليست ما يفتخر به وكأنها عرضت لغرابتها وللمقابلة بينها وبين مصنوعات الاوربيين مع انهم من اصل راقٍ كما يظهر من صورهم المنشورة ههنا وكما ظهر لنا من الذين رأيناهم متجندين مع الجنود التي مرّت بالقطر المصري آتية من استراليا

التقبيل بفرك الانف عند الموري

أُنفق على اقامة هذا المعرض نحو ثمانين الف جنيه وهو شاغل نحو فدان من الارض وموضعهُ في مرتفع فيشرف على ما حولهُ وزيّن بمناظر نيوزيلندية تمثل الصناعات الزراعية الثائمة في البلاد . وقد بالغ العارضون فيما عرضوهُ من اللحوم والاسماك فترى الثيران والخرفان معلقة في غرف مبردة مسلوخة تدور على نفسها دواماً لحمها عريض ودهنها غزير وكأن لسان حالها يقول انظروا ما احسنني . والاسماك في تلك الغرف او في قطع كبيرة من الثلج الشفاف . ويقال ان المصائد في انهار زيلندا الجديدة من احفل ما يكون بالاسماك الكبيرة . والاثمار المعروضة هنا كالاثمار المعروضة في معارض كندا واستراليا وكذا الجبن والزبدة والعسل وكل الحاصلات الزراعية وهناك قبة ينحدر الصوف منها في شكل شلالات كالدمقس المفتل بل كالماء الزلال